

تفسير ابن كثير

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ

لما ذكر تعالى من الحيوانات ما يسار عليه في السبل الحسية ، نبه على الطرق المعنوية

الدينية ، وكثيرا ما يقع في القرآن العبور من الأمور الحسية إلى الأمور المعنوية النافعة

الدينية ، كما قال تعالى : (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) [البقرة : 197] وقال : (

يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير) [الأعراف

: 26] . ولما ذكر في هذه السورة الحيوانات من الأنعام وغيرها ، التي يركبونها ويبلغون

عليها حاجة في صدورهم ، وتحمل أثقالهم إلى البلاد والأماكن البعيدة والأسفار الشاقة -

شرع في ذكر الطرق التي يسلكها الناس إليه ، فبين أن الحق منها ما هي موصلة إليه ، فقال

: (وعلى الله قصد السبيل) كما قال : (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا

السبل فتفرق بكم عن سبيله) [الأنعام : 153] وقال : (هذا صراط علي مستقيم) [

الحجر : 41] . قال مجاهد : في [قوله] : (وعلى الله قصد السبيل) قال : طريق الحق

على الله . وقال السدي : (وعلى الله قصد السبيل) قال : الإسلام . وقال العوفي عن ابن

عباس في قوله : (وعلى الله قصد السبيل) يقول : وعلى الله البيان ، أي : تبين الهدى والضلال . وكذا روى علي بن أبي طلحة ، عنه . وكذا قال قتادة ، والضحاك . وقول مجاهد هاهنا أقوى من حيث السياق ؛ لأنه تعالى أخبر أن ثم طرقا تسلك إليه ، فليس يصل إليه منها إلا طريق الحق ، وهي الطريق التي شرعها ورضيها وما عداها مسدودة ، والأعمال فيها مردودة ؛ ولهذا قال تعالى : (ومنها جائر) أي : حائد مائل زائع عن الحق . قال ابن عباس وغيره : هي الطرق المختلفة ، والآراء والأهواء المتفرقة ، كاليهودية والنصرانية والمجوسية ، وقرأ ابن مسعود : " ومنكم جائر " . ثم أخبر أن ذلك كله كائن عن قدرته ومشيئته ، فقال : (ولو شاء لهداكم أجمعين) كما قال : (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا) [يونس : 99] وقال : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) [هود : 118 ، 119] .